مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
ص: 54 - 66 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

البينية: قراءة في المفهوم والنشأة

Interdisciplinary, Read in the Concept and Formation

د.بسمة زحاف*
Dr. Basma Zahaf
جامعة الحاج لخضر- باتنة (الجزائر)
University Hadj Lakhder, Batna1 (Algeria)
zbesma91@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/08/02	تاريخ القبول: 2023/01/12	تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص البحث

يستهدف هذا البحث إظهار آفاق "الدراسات البينية" ومردوديتها في معالجة القضايا العلمية؛ سيّما وقد منحها "الانفجار المعرفي" المهول لعصرنا الحالي مشروعية الوجود والتنامي. وفي سبيل إبراز أهمية "البينية" اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لتقديم مفهمة لهذا المصطلح وللمصطلحات المتاخمة له من قبيل "عبور التخصصات" و"تعدد التخصصات" و"التكامل المعرفي"... فضلا عن توظيف المنهج التاريخي للتنقيب عن أوليات "الدراسات البينية" مع إجراء مقارنة بينها وبين مفهوم "الموسوعية" في النموذج المعرفي العربي، وانتهاءً بتوصيف واقع تطبيق "البينية" وتحديد جملة التحديات التي تعوق ذلك.

والمؤكد أنّ "البينية" منهجية تسعى للأخذ بنتائج عدّة تخصصات علمية لمعالجة الظاهرة قيد الدراسة بالإضافة إلى كونها مرحلة من مراحل تطور العلم، تلت مرحلتيْ الموسوعية والتخصص؛ فهي إضافة قيّمة في المعرفة الإنسانية.

الكلمات المفتاح: بينية، دراسات بينية، عبور التخصصات، تعدد التخصصات، موسوعية.

Abstract

This research aims to demonstrate the prospects and feasibility of "Interdisciplinary studies" in addressing scientific issues; In particular, the remarkable "cognitive explosion" of our present era has given it the legitimacy of existence and development.

. In order to highlight the importance of "interdisciplinary", we have adopted the analytical descriptive approach to provide an understanding of this term and adjacent terms such as "interdisciplinary", "multidisciplinary" and "cognitive integration"... As well as using the historical curriculum for the exploration of "inter- studies" priorities with a comparison between them and the concept of "Encyclopedism" in the Arab cognitive model, ending with the characterization of the reality of the application of the " inter- studies" and the identification of a number of challenges to this.

* بسمة زحاف، zbesma91@gmail.com

The "inter- studies" is a methodology that seeks to introduce the results of several scientific disciplines to address the phenomenon under study, in addition to being a stage in the evolution of science, following the "Encyclopedism" and specialization phases; It is a valuable addition to human knowledge.

Keywords: Interdisciplinarity, Interdisciplinary studies, Transdisciplinarity, Pluridisciplinarity, Encyclopedism.

مقدمة:

ساد "التشرذم المعرفي" الساحةَ العلمية ردحًا من الزمن حتى إنطبعت به؛ إذ إنحلت الوشائج التي تنظم عقد العلوم بما فيها العلوم المتقاربة أم المتاخمة، هذا التشظي جعل عموم الباحثين وأئمة الدارسين يُوقِنُون –ولاغرو- أنَّ مسألة معالجةِ قضيةٍ علمية معيّنة من زاوية علمٍ واحدٍ مسألةٌ يشوبُها النقص، ويعتريها الوهن، وكثيرا ما تُوسَم بـ "الأُحادية" والقصور، وتُصنَّف ضمن الشطط المنهجي الذي ينبغي الوقوف عنده، وتصحيح مساره طالما أنَّ هذه الحدود المعرفية التي فُرِضَت بين العلوم لا تُؤدي حتمًا إلى نتائجَ جادّةٍ صائبةٍ يُعوَّل عليها؛ ولعلَّ هذا هو المسوّغ لتعالي الدعوات لتجاوز التخصصات المتمايزة واعتماد "البينية" كمنهاجية من شأنها ربط المعارف وتقديم مقاربة أكثر موضوعيةً ودقّةً وصوابيةً تُمكّنُهم من بلوغ نتائجَ علميةٍ مُرضِية.

وإذا يمّمنا قِبَلَ الثقافة العربية، ألفَيْنَا تواشجًا كبيرًا بين زمرة كثيرة من العلوم كعلوم اللغة العربية وعلوم أخرى متاخمة لها كالفقه، المنطق، علم الكلام، التفسير، علوم الحديث، الأنساب والبلاغة... هذا من جهةٍ، من جهة أخرى نجد تعالقًا عظيمًا بين علوم اللغة العربية نفسها في مستوياتها (الصوتية- الصرفية- النحوية- الدلالية- المعجمية وحتى الأسلوبية) وهو ما يفسّر السمة "الموسوعية" التي كان يتسمّ بها علماء العرب المسلمين من إجادة كثيرٍ من الفنون والإحاطة من كل علمٍ بطرف. وهذا قد يتقاطع بشكلٍ أو بآخر مع مفهوم "الدراسات البينية".

- فماهي الحمولات المفهومية لمصطلح "الدراسات البينية"؟ وما أصل نشأته؟
- هل هو مكافئ لمصطلح "الموسوعية" في تراثنا العربي؟
- وما علاقته بمصطلحات مشابهة كـ "تعدد التخصصات" و"عبور التخصصات"؟
- كيف نقيّم مخرجات "الدراسات البينية"؟ وماهي آفاقها المستقبلية؟

هذه الأسئلة التي نروم الإجابة عنها في مقاربةٍ لعوائد "الدراسات البينية" وآفاقها المستقبلية.

أولًا: مفهوم "البينية": Interdisciplinary

مصطلح البينية هو المقابل العربي للكلمة الإنجليزية Interdisciplinary وهي كلمة مركبة من مقطعين: السابقة Inter والكلمة disciplinary وإذا كانت الترجمة الحرفية للمصطلح تنصرف إلى جعل كلمة "البين" مقابلا للمقطع الأول، ومقابلة المقطع الثاني بكلمة التخصصات أو الميادين المعرفية على الأشهر، فإنّ هذه التوليفة الإصطلاحية صارت تحمل دلالة خاصة بها يحدّدها معجم "كامبردج" في أنّها "الجمع أو الربط بين إثنين أو أكثر من مجالات المعرفة" [1] أمّا قاموس المركز الوطني الفرنسي للموارد النصّية والمعجمية فيعرّف interdisciplinarité بأنّها "مقاربة لمشكلات علمية إنطلاقا من وجهة نظر باحثين من تخصصات مختلفة"[2] وبهذا التصور فالقضية العلمية الواحدة جديرة أن تكون مثار بحث لعديد الدارسين حتى يستكنهوا غامضها ويوضحوا لبسها، فيحيطوا بها من أوجهها العديدة. وفي المنحى ذاته يتجه التعريف الذي أقرّه "اليونسكو" للبينية على أنّها: "نوع من التعاون بين التخصصات المختلفة أمام المشكلات، التي منها التعقيد، والتي تحل فقط بالتظافر والتوليف الحصيف بين وجهات نظر مختلفة" [3]. فاليونسكو تطرح مصطلح "البينية" مقابلا لتضافر معارف التخصصات المختلفة في حل المشكلات.

أمّا "ميتو نيساني"Moti Nissani فقد عدَّ البينية "عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة، وهو تبادلٌ قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتُكوِّن تخصصًا جديدًا والبينية هي تضايفٌ يحدث بين مكونين أو أكثر، يكون كل مكوِّن منها منتميًا إلى علم من العلوم أو تخصص من التخصصات" [4]. وهذا التحديد يحيلنا إلى مسألة شائكة وهي تعدد المصطلحات المقاربة أو المتاخمة لمصطلح "البينية" في البيئة الغربية التي أنتجته.

ثانيًا: المصطلحات المتاخمة للبينية:

في الحقيقة يعاني مصطلح "البينية" أزمةً شديدة مردّها التعدد والتداخل بينه وبين مصطلحات مجاورة له، فقد أُستعمِل بطرائقَ ومفاهيمَ متعددةٍ في البلاد الغربية، وحتى في التلقي العربي لمصطلح Interdisciplinarity اختلافات شديدة بين الدارسين؛ وفيما يلي تفصيل ذلك:

1. التكامل المعرفي:

يأتي مصطلح "التكامل المعرفي" الذي وجدناه يتواتر كثيرًا بين المشتغلين بفلسفة العلوم والمعارف، لكن هذا التواتر لم يكن دومًا استعمالاً ترجميًا للمصطلح الغربي محل الدراسة Interdisciplinarité وهو اختيار "محمد عزيز الحبابي" الذي ترجمه بتكامل أصناف المعرفة، بالإضافة إلى الجمعية المغربية لتكامل العلوم التي اختارت ترجمته بالتكامل كما هو واضح في اسمها [5]. بل كان أحيانًا إستعمالًا يراد به تضافر العلوم سواءً أكان ذلك من منظور الموسوعية العلمية القديمة أم المنظور العلمي الجديد، وربّما دلّ عند بعض الدارسين على مسألة التكامل بين مصادر المعرفة وأدواتها مثلما هو الحال عند الباحثين المتخصصين في المعرفة الإسلامية الداعين إلى وجوب النظر بمبدأ التكامل بين مصادر الوحي أي الكتاب والسنّة، أو بين العلم والدين، عندما

يتعلق الأمر بفلسفة التوفيق بين المتعارضات أخذًا بمبدأ وحدانية الحقيقة المعرفية[6]. وإجمالاً فالمصطلح يفيد التكاملَ والتداخلَ بين التخصصات لتقديم ما هو أفضل[7]. ومن النماذج التي أصّلت لهذا التوجه "فتحي حسن ملكاوي" في كتابه "منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية" فقد تمكّن من صوغ معادلة التكامل المعرفي في ثلاثة مستويات متضايفة متلازمة هي:

-التكامل بين مصدري المعرفة؛ الوحي والوجود.

-التكامل بين أداتي المعرفة؛ العقل والحس.

-التكامل بين المصادر والأدوات.

وقد ارتبط هذا المفهوم بالجمع بين القراءتين؛ قراءة الوحي وقراءة الوجود، أو قراءة الكتاب المسطور وقراءة الكتاب المنظور. وبصورة مباشرة نعني بالتكامل المعرفي في سياق مشروع إسلامية المعرفة، أو الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر؛ امتلاك معرفة كافية بمبادئ الإسلام، منهجية مناسبة لتوظيف هذه المبادئ وهذه المقاصد، إعمال هذه المنهجية في فهم العلوم المعاصرة المعاصرة والتعامل معها، بناء شخصية متكاملة معاصرة تتصف بالتماسك والفاعلية، تمكين الأمة من الإسهام المتميز في الحضارة الإنسانية وترشيدها بهداية الوحي الإلهي"[8]. ومن النماذج الأُخرى التي يحسن استحضارها في هذا السياق "طه عبد الرحمن" في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"...

2. تعدد التخصصات: Pluridisciplinarity

يحمل هذا المصطلح دلالة اشتراك أكثر من تخصص في معالجة الموضوع نفسه[9]. ويعرّف "باتريك شارودو" P.Charaudeau بقوله: "هو مجال تتكامل فيه الدراسات المتخصصة في حقول معرفية متمايزة، وتتراكم دون أن تتفاعل وتتقاطع بالضرورة، فكل تخصص يضيف إلى الموضوع المطروق معرفة ما أو وجهة نظر أو مقاربة ما، ويحافظ في الآن نفسه على استقلاله إزاء سائر التخصصات المشاركة له في خدمة ذلك الموضوع أو ذلك الحقل المعرفي" [10]. والمقصود بهذا الطرح أنّ المسألة العلمية الواحدة تتجاذبها التخصصات العديدة؛ فتكون من ضمن الموضوعات التي يدرسها كل تخصص دونما وجود لتقاطع أو تكامل أو تبادل معرفي بينها.

3. تشابك التخصصات: Multidisciplinarity

تشير دلالة مصطلح "التشابك" أو "التداخل" إلى عملية ضبط معارف كثيرة ومتنوعة، ثمّ الربط بينها واستعمالها بشكل متوازٍ، من غير أن تكون علاقات سابقة بينها. فضلًا عن أنّ بعض الباحثين يجعل دلالة "التشابك" مرادفا لـدلالة "التعدد" التي تقتضي اِلتقاء مجموعة من الباحثين من تخصصات مختلفة حول موضوع واحد مع اِحتفاظ كل منهم بمفاهيمه ومنهجه [11].

4. عبور التخصصات:Transdisciplinarity

لم تُغنِ تعدد المصطلحات الدالّة على هذا المفهوم "موتي نيساني" Moti Nissani أنْ قدّم مصطلحًا آخرَ وهو "**عبور التخصصات**" وعزّزَه بعشرةِ أسبابٍ لإعلاء قيمته[12] نجمل بعضها في أنّ الإبداع

غالبًا ما يتطلّب معرفة متعددة التخصصات، وأنّ المهاجرين غالبًا ما يقدّمون إسهاماتٍ مهمةً في مجال تخصصهم الجديد، وكذلك تتطلّب الكثيرُ من المشكلات الفكرية والإجتماعية والعملية مناهجَ متعدّدةَ التخصصات، كما أنّه يقع بعض موضوعات البحث الجديرة بالاهتمام في فجواتِ التخصصات التقليدية.

في حينَ أنّ مصطلح **"عبور التخصصات"** "وصف للمعرفة المتنقلة بين تخصصات متنوعة أو العابرة للحدود بين التخصصات" [13]. تلك المعرفة أو الفكر أو الظاهرة القادرة على اِختراق المجالات والتخصصات، وسمة العبور فيها أصلية ولا تستدعيها المعالجة العلمية مثل اللغة؛ فقد تعالج معالجةً لسانية خالصة، وقد تعالج معالجة سلوكية، وقد تعالج معالجة اِجتماعية، وقد تعالج معالجة بيداغوجية. و"لقد عُرِفَ **"إدغار موران"** بأنّه رائد الدعوة إلى التعالي التخصصي (Transdisciplinarity Transdisciplinarité) وأنّه يرى أنّ المعرفة المعقدة متعددة الوجوه والمستويات هي وحدها القادرة على حل الإشكالات المعقدة، ويرى من جهة أخرى أنّ العلم لا يستحق أن تسند إليه هذه الصفة ما لم يكن بينيًا، يرى كذلك أنّ التخصص الدقيق المنغلق على نفسه يدمّر المعرفة العلمية ويفسدها ولا يمكن لأية معرفة أن تكون مفيدة ما لم توضع في سياقها الثقافي والإجتماعي"[14] وقد آثَرَ "موران" استعمال مصطلح "التعالي البيني" على التداخل بين التخصصات؛ لأنّه يرى أنّ تاريخ العلم ليس تاريخ التخصصات فقط، بل هو أساسًا تاريخ التنازع بينها وهو تاريخ التفاعل الذي يحصل بين موضوعاتها، وما يولّده تمازجها من حقول معرفية جديدة..

وبالعودة إلى مصطلح "الدراسات البينية" الذي يعتمدُ على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة للإجابة عن الأسئلة ذات الأهميّة، أو حلّ المشكلاتِ الحيويّة، أو فهم موضوعٍ معقّد وواسع يصعب التعامل معه تعاملًا كافيًا عن طريق نظام، أو تخصص واحد [15]. يتضح أنّ الدراسات البينية قد تقعُ في نطاقِ تخصّصٍ واحدٍ، أو تقع في نطاقٍ تخصّصين منفصلين بينهما حقولٌ تصلحُ للإلتقاء والإندماج في سبيل حلّ مشكلةٍ من المشكلات المستعصية أو قضيّة من القضايا أو ظاهرة من الظواهر. ومصطلح "الدراسات البينية" هو أكثر المصطلحات الدالة على هذه الحالة المعرفية؛ لذلك يجب اِعتماده والترويج له في الأوساط العلمية والثقافية خروجا من أزمة المصطلحات وإشكالية المفاهيم المتجاورة.

ثالثًا: بين البينية والموسوعية:

في البداية الموسوعية Encyclopedism نعني بها التوغل المعرفي العام والجاد في مختلف ألوان الفنون والعلوم والآداب من خلال تخصصاتها المختلفة، ولا يفوتنا في هذا المقام بيان أنّ لفظة "موسوعية" منسوبة إلى كلمة "موسوعة" Encyclopedia وهي المقابل اللاتيني للأصل اليوناني enkyklios paideia التي تعني لغويا التعليم الشامل all-around education ... فالموسوعة أو دائرة المعارف هي: "المؤلَّف الذي يحتوي على معلومات -تطول أو تقصر تبعًا لطبيعة ونوعية الموسوعة- حول موضوعات المعرفة الإنسانية المختلفة من علوم، وفنون، وآداب وتكنولوجيا إلى غير هذا أو ذلك من مجالات الثقافة والمعرفة. ويغلب على معلوماتها الشمولية والإختصار" [16]. فالموسوعة أداة علمية لحفظ المادة المعرفية البشرية وتبليغها، أمّا مقتضى

"الموسوعية" فهو إطّلاعُ العالِم أو الباحثِ العميقُ على علومٍ أو حقول معرفية متعددة، مثل اللغة والنحو والصرف والفلك والطبّ والهندسة والموسيقى وعلم الكلام والمنطق ... فالموسوعية لا تستلزمُ بأيّ صورة من الصور ما يسمّى عبورَ التخصصات (البينية).

يرى المستقرئون لتاريخ العلوم أنّ "البينية" مرحلة تالية لمرحلتي الموسوعية والتخصصية؛ فالموسوعية ظاهرة معرفية تلازم الفكر الإنساني عندما تنشط الحركة العلمية وتكثر إيراداتها التأليفية في جو تنافسي. ولقد هيمنت هذه النزعة الموسوعية على العلماء في الحضارة العربية الإسلامية؛ فلا تجد عالمًا إلا وهو يعرف الأدب ويجيد الفقه والتاريخ والكيمياء والرياضيات والطب وغير ذلك؛ وثمّة نماذج رائدة ما ذاع صيتها، ولا لمع نجمها إلا لكونها قد جمعت بين الموسوعية والتخصص في مجال معين من المجالات؛ ومن ثمّ فقد اتسمّت بالشمولية ولم تعدم العمق، ولهذا جمع بعضهم بين لقبين أو أكثر كأبي حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، وابن سينا الفيلسوف والعالم والطبيب. كما جمع بعضهم بين التاريخ والفلسفة والأدب، أو بين الفلك والرياضيات وعلوم اللغة أو بين العلوم اللغوية والأدبية وعلوم الأحياء كعبقري العربية الجاحظ مثلا، ثمّ إنّهم قد تركوا لنا رسائل ومؤلفات في هذه المجالات مع شهرتهم في مجال معين آخر، والنماذج في هذا الصدد كثيرة كالرازي والبيروني، وابن النفيس، وابن رشد، وابن الأثير[17] وغيرهم.

هذا وإن كان النسق المعرفي العربي قد إشتهر واتّسم بالموسوعية، فإنّه لم يخلُ من "الدراسات البينية" فنظرية النظم البلاغية للإمام الجرجاني(ت471هـ) تتوخى معاني وأصول وقواعد النحو وقد قال في بيان أهمية علم النحو والإعراب في التأليف والنظم: "إذا كان قد عَلِم أنّ الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنَّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلامٍ ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرَفُ صحيحٌ من سقيم حتى يرجع إليه، ولا يُنكِرُ ذلك إلّا من يُنكِرُ حِسّه، وإلّا مَنْ غَالط في الحقائق نفسَه" [18] وهذا مثال من مئات الأمثلة الدالة – من دون تمحل أو تعسف- على وجود الدراسات البينية في الثقافة العربية الإسلامية.

رابعًا: نشأة البينية:

شهدَ الفكرُ الإنسانيّ حتى قبلَ أن يصبح أكثر تنظيمًا مع فلاسفة اليونان ميلًا إلى النظرة الشمولية والكلية للوجود[19] فكان البحث عن روح المنطق العام الرابط بين مختلف الصناعات والعلوم وراء أورغانون أرسطو، وكانت الرغبة في الكشف عن أسرار العلاقة بين العلوم الشرعية واللغوية وراء تأصيل مختلف العلوم وبيان عللها وأدلتها النقلية والعقلية [20] فالموسوعية التي كانت من أخصّ خصائص العلماء تقتضي "أن يحيط العالم بعلوم عديدة ويتمكن من خبرات معرفية أوسع وأشمل، ومن منطلق جمالي يختزن الخبرات البشرية المتقدمة عليه"[21]

أمّا في العصر الحديث؛ أبرز معالم التأسيس للفكر العلمي مرتبط بعقلانية ديكارت التي شكلت النموذج المعرفي الأكبر في القرن السابع عشر، وهو النموذج الذي إستقام عوده على محاولة وصل التفكير

الرياضي بالفكر الفلسفي، ثمّ توسيع أفق هذا المنهج الرياضي ليغدو صالحًا لمباحثة كل قضايا العلم والمعرفة [22] لكنَّ هذا الطموح المتأجج ما لبث أن تراجع تحت وطأة التباين المسجل بين مبادئ الفلسفة والرياضيات لينحسر نفوذه تاركا المجال لإسهامات جديدة كتلك التي إرتبطت بالنزوع الإستقرائي الذي بنى "فرانسيس بيكون" عليه تصوره المنهجي، في كتابه "الأورغانون الجديد" كنموذج بديل للمنهج الأرسطي [23] وكانت سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي حاسمةً في دفع التشرذم والذرّية المعرفية؛ فَبرز رواد في هذه المسيرة مهدوا لتوطيدها على رأسهم "جان بياجيه Jean Piaget " الذي يؤكّد "ألاَّ شيء يكرهنا بعد على تقطيع الواقع إلى أحواز مغلقة أو إلى طوابق مرفوعة تمثل الحدود الظاهرة بين التخصصات العلمية وكل شيء خلافًا لذلك يحضُّنا على المضي في البحث على التفاعلات والآليات الموحدة"[24] وهنا يوضّح النفساني السويسري فكرته التي سمَّاها **"دائرة العلوم Le cercle des sciences** التي يقصد بها حاجة العلوم الإنسانية والبيولوجية والفيزيائية ..إلى بعضها البعض، ممّا يحمل الباحثين على تكثيف عمليات الربط المعرفي بين الحقول المتقاربة أو حتى المتباعدة مادامت القضايا العلمية تستدعي ذلك. وقد تعالت الدعوات إلى إقرار هذا النهج من لَدُنِ لفيف من العلماء على غرار "إدغار موران" و"برنار لاكروا" و"برنار لاهير" و"محمد الشرقاوي" حتى إنَّ "تشارليز موريس سنوي" يلقي "باللائمة على المدرسة الحديثة التي تضع حواجز صارمة بين العلوم التقنية والعلوم الإنسانية والتجارب الاجتماعية وقد قدّم أطروحته الداعية إلى هذه الثقافة البينية في جامعة كامبريدج سنة 1959 ووسَمَها بعنوانٍ لافتٍ للانتباه وهو "الثقافتان والثورة العلمية" وبيَّن أنّ علماء الإنسانيات من أدباء وفلاسفة ومؤرخين يفكرون وينظّرون ويؤسّسون النظريات العلمية بمعزل عن نظرائهم من علماء الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات. ويستعمل هذا المصطلح –أي الثقافة الثالثة- في الثقافة التعليمية الحديثة ويدعو أصحابه إلى تجديد المنظومة التربوية بتحويل المقررات التعليمية إلى كفايات ومهمات وأنشطة تمهينية"[25]. ولعل هذا ما يمنح لظهور "البينية" شرعيةً تبرّرها أسبابٌ [26] كثيرة؛ نجملها فيما يلي:

1. التحول الجذري الذي عرفته النظريات المعرفية منذ أواسط القرن الثامن عشر، وكان لإيمانويل كانت "E.Kant" بعيد الأثر فيها.
2. انتقال الفكر العلمي العالمي من فكر دائري ترد بمقتضى قوانينه جميع الجزئيات والتفاصيل والمفردات والفروع والأصول المعروفة، وتردّ فيه الأشياء المتنوعة في كافة مظاهر الحياة إلى النموذج المفرد أو إلى خلية الأم، تختزل الظواهر على تعقدها في عنصر بسيط يفسر نشأتها.
3. تجديد الخطاب العلمي بإنتقاله من فكر الأشباه والنظائر إلى فكر أفقي إنتشاري منفتح.
4. تحوّل فلسفة العلوم من فلسفة تصنّف العلوم وترتبها بحسب موضوعاتها إلى فلسفة تنظم صلات العلوم بعضها ببعض.

خامسًا: جدوى "البينية":

هناك أربعة جوانب هامة للدور الذي يمكن أن تلعبه الدراسات البينية [27] وهي:

1. **دمج المعرفة:** وتعني ربط وتكامل المدارس الفكرية والمهنية والتقنية للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية مبنية على العلوم الأساسية والطبيعية.
2. **الإبداع في طرق التفكير: Modos of thinking** تعني تطوير القدرة على عرض القضايا ومزج المعلومات من وجهات نظر متعددة لتحدي الإفتراضات التي بنيت عليها وتعميق فهمها، مع الأخذ في الإعتبار إستخدام أساليب البحث والتحقيق من التخصصات المتنوعة لتحديد المشاكل والحلول للبحوث خارج نطاق النظام الواحد.
3. **تحقيق التكامل: Integration** ويُقصد بتحقيق التكامل إدراك ومواجهة الإختلافات بين التخصصات المختلفة للوصول إلى وحدة المعرفة المتناغمة والأكثر شمولًا من تلك التي تتيحها رؤية التي يُقدّمها تخصص واحد. فالدور الرئيس للدراسات البينية هو تحقيق التكامل بين المعرفة وطرق التفكير لاثنين أو أكثر من التخصصات.
4. **إنتاج المعرفة: Knowledge producing** إنّ الحاجة إلى إجراء الدراسات البينية أصبحت الآن أقوى من أي وقت مضى، ويرجع ذلك إلى أن العديد من المشاكل المتزايدة التي تهم المجتمع لا يمكن أن تحل بشكل كاف عن طريق تخصص واحد معين، وإنّما تتطلب دراسات بينية ذات رؤى واضحة تعتمد على الطرائق الحديثة و الباحثين المؤهلين لإنتاج معارف جديدة، بالإضافة إلى أنّ الدراسات البينية تساعد الجامعات على مواكبة التطور الجاري في الكثير من التخصصات عالميًا بما ينسجم والمتطلبات الديناميكية المستمرة للمجتمعات الحديثة التي تتطلب درجات أعلى من التخصص.

سادسًا: واقع وآفاق الدراسات البينية:

يشير واقع الدراسات البينية إلى توجس من هذا النوع من المنهاجية ، وربّما عن جدواه ومدى استفادة المؤسسات من الباحثين متعددي التخصصات، خاصةً وأنّ "عبور التخصصات" لا يتأتى لأيّ باحث [28] فالباحثون في الحقول العابرة للتخصصات تعترضهم بعضِ الإشكالات المنهجية، نلخّصها فيما يأتي [29]:

1. **إشكالية التحيّز Bias:** التي تعني التفاوتَ المعرفيّ بين التخصص الأصليّ للباحث والتخصص الآخر، فمعظم المسائل الشرعية تحتاج إلى علوم اللغة كي يتمكن المفتي من إصدارِ فتوى دقيقة؛ فالعلاقة بين العلوم الشرعية وعلوم اللغة وثيقة، حتّى إنّ علومَ اللغة تسمّى علوم الآلة؛ لحاجةِ العلوم الشرعية إليها حاجةً دائمة وملحة.
2. **إشكالية المعايير Standers:** وتعني تأثّر الباحث بالمعايير السائدة في تخصصه، بالنظر إلى نضج المعايير أو عدمها، وهذا يؤثر في جودة الدراسة ورصانتها.

3. **إشكالية المألوفية Familiarity:** وهي اِكتساب تقاليد تخصّص الباحثِ الأصيل وقلة الخبرة في التعامل مع تقاليد التخصص الآخر.
4. **إشكالية التراكمية Accumulation:** وهي الفجوة بين تخصص الباحث الأصلي والتخصص الآخر.
5. **إشكالية التقييم Evaluation:** وهي التعرّض مثلا إلى معالجة دراسات سابقة غير مهمة وأدواتٍ غيرِ مناسبةٍ في التخصّص الآخر.
6. **إشكالية الإنفجار المعرفيّ Information Explosion:** وهي صعوبةُ اِختيار الدراساتِ المناسبة من بين ملايين الدراساتِ.

ولا تعني الحاجةُ إلى الدراساتِ العابرةِ للتخصّصات أنْ نغفل عن قضيّة مفادُها أنّ محاكاةَ العلومِ الإنسانيّة للعلوم الطبيعيّة التي تطبّق المنهج التجريبيّ أدّت إلى الإغراقِ في الاعتماد على التحليل الكمّي التي أفرزت نتيجةً عكسيّةً تتعلّق بعدم محاولةِ فهم الواقع بقدر محاولة قياسه[30]. بالإضافة إلى اِرتفاع تكلفة البحوث البينية، لكن الردّ على هذا المأخذ ينحصر في النقاط الآتية[31]: من الممكن تعويض هذه التكاليف عن طريق ربط علم الدراسات البينية بسوق العمل ومتطلباته، فضلا عن كون الدراسات المتخصصة مكلفة أيضا...

من الإنتقادات التي وُجهت إلى الدراسات البينية أنّ هناك اِختلافات في معاني المصطلحات المستخدمة فيها، واعتراضات على بعض النظريات...

ورغم كلّ هذه المآخذ على الدراسات البينية، فإنّها آخذة في التوسع والإنتشار؛ وهذا يُنبي بمستقبل واعد لهذا النمط من الدراسات خاصة في ظل ما يشهده العالم من الفتوحات العلمية العظيمة.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف، خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج؛ نوردها تباعًا كالآتي:

-البينية منهاجية تسعى للأخذ بنتائج عدّة تخصصات علمية لمعالجة الظاهرة قيد الدراسة.

- استعمال مصطلحات "تعدد التخصصات" و"تشابك التخصصات" و"عبور التخصصات" و"التكامل المعرفي" كمرادفات للدراسات البينية" يحتاج إلى تمحيص وتدقيق؛ لأنّ بينها فروقا دلالية دقيقة.

- الدراسات البينية مرحلة من مراحل تطور العلم، تلت مرحلتيْ الموسوعية والتخصص.

-النسق الفكري العربي الإسلامي عرَف البينية والموسوعية معًا، وكلاهما حالة معرفية أثرَت المعرفة الإنسانية.

-الدراسات البينية طفرةٌ نوعية في المنهجيات والنُظم العلمية المعاصرة، وهي إضافة قيّمة في المعرفة الإنسانية ضمن شرطيتها التاريخية الحالية.

-الرؤية البينية رؤية متميزة إبداعية تعتمد على حوار المناهج وتلاقح الأفكار وتعدّد المنظورات في ربط الظواهر، وتعميق الصلات بين القضايا.

التوصيات: خلصت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

-ضرورة تبني الرؤية البينية في مجال الأنظمة العلمية القائمة في التعليم خاصةً؛ من أجل ترسيخها لدى المتعلّمين ومنحهم أفقًا معرفيًا مغايرًا؛ يتسمّ بتعدد المنظورات وتفاعلها وتكاملها، تعصمهم من ضيق التخصص و تحميهم من أحادية المنهج وانغلاق الرؤية.

-اقتراح برمجة مقياس خاص بالدراسات البينية، تضيفه المؤسسات الجامعية يكون ضمن المقاييس المقررة على الطلبة لاستكمال متطلبات النجاح في الطور الثاني (الماستر).

-دعوة الباحثين إلى التأليف في إطار "الكتابة التمهيدية التأسيسية" نشرًا وترسيخًا لها في الأوساط الأكاديمية والثقافية.

هوامش:

[1]http:// dictionary.cambridge.org/dictionary/english/interdisciplinary.

[2]http://www.cnrtl.fr/defenition/interdisciplinarit%C3%A9//0.

[3]Louis D'Hainaut ; L'interdisciplinarité dans les l'enseignement général ; colloque international organise a la maison de l' Unesco du 1 au 5 juillet 1985 ;Ed Unesco1986 ; p5.

[4]M.nissani; Fruits, Salads, and Smoothie A Working Definition of interdisciplinary; p1.

وتمّ اعتماد ترجمة صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص16.

[5] محمد هام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة العلاقات بين العلوم،2017، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، بيروت، ص75.

[6] ينظر، عمار قاسمي، التكامل المعرفي مقاربة مفاهيمية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة المجلد10، العدد2، ص141-171.

[7] حربوش العمري، التكامل المعرفيّ ودوره في التكوين الجامعيّ "التكوين الطبي والبيولوجي نموذجًا" مجلة العلوم الإنسانية العدد 37: 2012، ص25.

[8] فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، 2011، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن، فرجينيا، الو م أ، ص291.

[9] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص14

[10] المرجع نفسه.

[11] محمد هام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، ص78.

[12]- Missani. M. (1997). Ten cheers for interdisciplinary: The case for interdisciplinary knowledge and research. The Social Science Journal. Volume 34, Issue 2, Pages 201-216.

[13] محمد هام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، ص78.

[14] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص247 .

[15] ينظر، عبد العزيز بركات، الإشكاليات المنهجية في الدراسات البينية. المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال، عدد13 2016، ص5.

[16] محمد فتحي فرج، جدوى الموسوعية والدراسات البينية في التكامل المعرفي، مجلة جامعة مصر للدراسات الإنسانية (العلوم الاجتماعية و الإنسانية) مجلد1، عدد1، يناير 2021، ص190-191.

[17] ينظر، نور الدين بن جود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص5 .

[18] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر،1992، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ط3 ، ص28.

[19] حربوش العمري التكامل المعرفيّ ودوره في التكوين الجامعيّ ص23-39.

[20] ينظر، صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص14.

[21] تيسير عبد الجبار الألوسي، الموسوعية والتخصص بين نور العلم وظلام الجهل في حالتي التخلف والتقدّم التكنولوجي 2018، Somerion-States.com.

[22] ينظر، رونيه ديكارت، حديث الطريقة، 1987، ترجمة: عمر الشارني، دار المعرفة للنشر، ج1، ص5و45.

[23] دونالد جيلر، فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة ودراسة: حسين علين التنوير للطباعة والنشر،2009، لبنان، ط1 ص9.

[24]-Jean Piaget, L'épistémologie des relations interdisciplinaires, 1973, Bulletin Uni-information, n°31, Genève, P5.

[25] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص268.

[26] ينظر، نادية خميس، الدراسات البينية: نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، ص245-246.

[27] ينظر، عمار بن عبد المنعم أمين، الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، ص2.

[28] ينظر، رجا بهلول، حول مفهوم عبور التخصصات، 2018، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص17.

[29] ينظر: عبد العزيز بركات، الإشكاليات المنهجية في الدراسات البينية، ص4-9.

[30] نعيمة نصيب، العلوم الإنسانية وإمكانية العودة إلى التكامل، 2005، مجلة عالم التربية، ص23.

[31] إسلام عبد الله غانم، السوق في مدينة سوسة بالجمهورية التونسية "دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية" طباعة مركز البحوث والدراسات الاجتماعية والافريقية، مصر، ص209.

قائمة المراجع:

الكتب العربية:

1- إسلام عبد الله غانم، السوق في مدينة سوسة بالجمهورية التونسية "دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية" طباعة مركز البحوث والدراسات الاجتماعية والافريقية، مصر.

2- تيسير عبد الجبار الألوسي، الموسوعية والتخصص بين نور العلم وظلام الجهل في حالتي التخلف والتقدّم التكنولوجي 2018، Somerion-States.com.

3- دونالد جيلر، فلسفة العلم في القرن العشرين، 2009، ترجمة ودراسة: حسين علين التنوير للطباعة والنشر لبنان، ط1.
4- رجا بهلول، حول مفهوم عبور التخصصات، 2018، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
5- رونيه ديكارت، حديث الطريقة،1987، ترجمة: عمر الشارني، دار المعرفة للنشر، ج1.
6- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني، أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
7- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1992، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3.
8- عمار بن عبد المنعم أمين، الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز.
9- فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، 2011 المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، هرندن، فرجينيا، الو م أ.
10- محمد هام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، 2017، دراسة العلاقات بين العلوم، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت.
11- نور الدين بن جود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الكتب الأجنبية:

12 Jean Piaget, L'épistémologie des relations interdisciplinaires, 1973, Bulletin Uni-information, n°31, Genève.
13 Louis D'Hainaut ; L'interdisciplinarité dans les l'enseignement général ; colloque international organise a la maison de I' Unesco du 1 au 5 juillet 1985.
14 Missani. M. Ten cheers for interdisciplinary: The case for interdisciplinary knowledge and research. 1997. The Social Science Journal. Volume 34, Issue 2.
15 Missani. M; Fruits, Salads, and Smoothie A Working Definition of interdisciplinary.

(2): المجلات:

16 عبد العزيز بركات، الإشكاليات المنهجية في الدراسات البينية، 2016، المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال، عدد13.
17 عمار قاسمي، التكامل المعرفي مقاربة مفاهيمية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة المجلد10، العدد2.
18 العمري حربوش، التكامل المعرفيّ ودوره في التكوين الجامعيّ "التكوين الطبي والبيولوجي نموذجًا" 2012، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 37.

19 محمد فتحي فرج، جدوى الموسوعية والدراسات البينية في التكامل المعرفي، 2021، مجلة جامعة مصر للدراسات الإنسانية لعلوم الاجتماعية و الإنسانية) مجلد1، عدد1.

20 نادية خميس، الدراسات البينية: نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، 2021، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد14، العدد2

21 نعيمة نصيب، العلوم الإنسانية وإمكانية العودة إلى التكامل. 2005، مجلة عالم التربية.

المواقع الإلكترونية:

22 http:// dictionary.cambridge.org/dictionary/english/interdisciplinary.

23 http://www.cnrtl.fr/defenition/interdisciplinarit%C3%A9//0